


خطب الشيخ
محمد حسان

دار ابن رجب





ميلاد عيسى عليه السلام
ونزوله آخر الزمان

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

دَارُ ابْنِ رَجَبٍ طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢

المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

# ميلاد عيسى عليه السلام
# ونزوله آخر الزمان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ...

**أولًا : عيسى بن مريم والميلاد المعجز**

أخي في الله لن أجد لك بداية أرحب ولا أجمل أبدأ بها حديثي معك الآن أجل من هذه الكلمات الجميلة في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۞ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[ آل عمران : ٣٥ -٣٧ ]

وقبل أن نتجول سويًّا في بستان هذه الكلمات الرقيقة الرقراقة أقول لك إنه لأول مرة في تاريخ البشرية الطويل منذ أن خلق الله

آدم من تراب ينسب نبيًّا لأُمِّه .

مريم هي الأنثى الوحيدة في الوجود كله التي اختصها الله من بين النساء قاطبةً ليودعها سره الأكبر في أصفى حمل وأعجز ميلاد ، فمريم هي الفتاة العذراء النقية التقية التي اصطفاها الله جل في علاه من بين نساء العالمين ، فنفخ فيها من روحه ومنحها هذه المكانة الرقيقة الرقراقة من بين أمهات الدنيا جمعاء .

فأمها حنة بنت فاقود وصلت إلى سن اليأس ، فتمنت على الله أن يرزقها الولد ، والله على كل شيء قدير ، فاستجاب الله دعاءها وابتهالها إليه ، فتحرك الحمل في أحشائها بقدرة من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات بقدرة من يقول للشيء كن فيكون . فلما تحرك الحمل في أحشائها أحبت أن تشكر الله على هذه النعمة فقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم ﴾ .

نَذَرتْ ما في بطنها لله جَلَّ وَعَلَا - أي : لخدمة بيت المقدس - جزاء على ما رزقها هذه النعمة . بعد ما وصلت لهذه السن .. وبعد مرور أشهر الحمل وضعت بنتا جميلة رقيقة طيبة ، فنظرت إليها بحزن وقالت : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ .

**فقالت حنة** : رباه إني وضعتها أنثى وأنت أعلم مني بما وضعت أي أنت الذي رزقتني وقدرت لي ذلك ، فليس الذكر كالأنثى في القوة والجلد وخدمة الأقصى وإني يا رب أعيذها بك من شر الشيطان وذريتها - وهو ولدها عيسى ابن مريم فاستجاب الله لها .

قال رسول الله ﷺ : (( **مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ ، إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صارخًا مِنْ نَخْسَةِ**

الشَّيْطَانِ ، إِلَّا ابنَ مَرْيمَ وَأُمَّهُ ))[1].

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ أي : إنه تقبل نذر أمها حنة وجعل شكلها مليحًا وأعطى لها منظرًا بهيجًا ويسر لها أسباب القبول ، وقرنها بالصالحين من عباده ، تتعلم منهم العلم والخير والدين

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد رقم (٧١٨٢) ومسلم رقم (٢٣٦٦) في الفضائل ، باب فضل عيسى ابن مريم وهو في صحيح الجامع رقم (٥٧٨٥) .

فلهذا قال : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وما ذلك إلا لأنها كانت يتيمة ، ويقال : إنها كانت سَنَةَ جَدْبٍ فكفلها زوج خالتها لكي تكون تحت رعاية خالتها وحنانها ولا منافاة بين القولين ، وقيل : إنه زوج أختها وقد ذكر القرآن لنا أيضًا ﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾

[ آل عمران : ٤٤ ]

أي : ما كنت معهم يا محمد لتخبرهم عن

معاينة ما جرى ، بل أطلعك الله عليه كأنك حاضر وشاهد لما كان من أمرهم لما اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفل هذه الطاهرة التقية الورعة ليكن له الأجر ، فحين خرجت بها حنة إلى بني الكاهن بن هارون أخي موسى - عليهما السلام - وقالت هي نذيرة ، ولا يدخل المسجد حائض ، ولكنى نذرتها ، وأنا لا أردها إلى بيتي .

**فقال زكريا** : ادفعوها لي فخالتها تحتي ،

فقالوا : بذلك تطيب أنفسنا لأنها ابنة إمامنا ، وقالوا : نقترع وبالفعل اقترعوا ، فما هي القرعة ؟!

أن يرموا الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة في نهر الأردن ، وقالوا : أي قلم يثبت ولا يجري مع التيار بل يعاكسه هو كافلها وبالفعل حدث ووقع ذلك على قلم واحد ، ... ترى من صاحب هذا القلم ؟!

إنه زكريا عليه السلام وذلك لحكمة يعلمها الله

ﷻ ويعلمها لنا ألا وهي لتتعلم مريم وتقتبس من النبي الزكي زكريا ﵇ العلم والفقه ، وكان إمامهم وكبيرهم وسيدهم وعالمهم ونبيهم حين ذاك .

**قال تعالى** : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ .

تعجب زكريا من هذا الطهر والزهد والعفاف والتوحيد الذي وصلت به مريم البتول إلى مكانة عالية عند الله ﷻ فكلما دخل

عليها وجد عندها رزقا.

ثم قال لها زكريا - عليه السلام -: ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ﴾ أي : من أين لك هذا الرزق ؟!

قالت البتول الطاهرة : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ أي : ذلك لا دخل للمخلوق فيه بل هو من الخالق ، وهو يرزق من يريد بغير حدود تحده .

**وهكذا أيها الأحبة الكرام**

اصطفى الله مريم في بستان الورع بين أزهار التقى والنقاء والعفاف والصلاح ، هذه هي الزهرة والنبتة الطيبة ، نشأت مريم في هذا المكان وهذا الجو الإيماني الطاهر العفيف فاصطفاها الله وبشرها بهذه البشارة التي انفردت بها دون نساء العالمين ويالها من بشارة يالها من خصوصية اختص الله بها الطاهرة ..

إيه يا مريم .... إيه بماذا اختصك ربك ؟!

**يقول الملك ﷻ:** ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۞ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [ آل عمران : ٤٢ - ٤٣ ]

يا لها من مكانة آثرك بها الله دون نساء الدنيا يا مريم !

فلم تتوان مريم عن عبادة الرب فظلت البتول ساجدة وراكعة حتى أراد الله ﷻ أن

يمنحها تلك المكانة الرفيعة من بين أمهات الدنيا .

## ميلاد عيسى عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۞ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ۞ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ

وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ [ مريم: ١٦-٢١ ]

وفى يوم من الأيام خلت مريم لنفسها لقضاء شأن من شئون العذراء الخاصة ... وفجأةً انحبس صوتها وشخص بصرها ، إنها مفاجأة مذهلة تأخذ بالعقول بل وتصدع الأفئدة ، بشر سوي في خلوة العذراء البتول الطاهرة . وسرعان ما استغاثت برب الأرض

والسماوات ولجأت إليه بشدة ، وقالت :
﴿ أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ .

انظر إلى الفطنة والذكاء والورع ! لم تقل أعوذ بالجبار منك ولم تقل أعوذ بالغفار منك وإنما استجاشت الرحمة في قلبه بذكر الرحمن فقالت أعوذ بالرحمن منك ، أي : ارحم ضعفي . ارحم أنوثتي . ارحم خلوتي !!

ولكن قدر الله لها مفاجأة أعظم . أن أنطق هذا البشر السوي في خلوة البتول الطاهرة

ليقول لها : لا تخافي ولا تحزني فأنا رسول ربك إليك ﴿ لأَهَبَ لَكِ غُـلامًا زَكِيًّـا ﴾ قالت : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ لم أكنْ أبدًا صاحبة فاحشة ، فهي لم تتصور مطلقا وسيلة للإنجاب غير وسيلة التقاء الرجل بالمرأة وهي لم تتزوج بعد ، ولم تفكر أيضا ألبته في الرذيلة ، وهنا يأتي الرد القاطع الحاسم فيقول الملك والرسول الكريم ﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ

ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ .

فهنا يقول المولى :﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [ الأنبياء : ٩١ ]

فهنا حدث أمر غير مألوف ما اعتادت عليه الخليقة ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ لتنجب عيسى عليه السلام ، أي : نفخ الملك جبريل في أعلى القميص بأمر من الله عز وجل وهذا ليبين للخلق طلاقة قدرة الخالق ، إنها قدرة لا

تحدها حدود ، إن من يحاول أن يصل بعقله القاصر إلى حدود قدرة الله كمن يحاول أن يكلف نملة أن تنقل جبلًا من مكان إلى آخر وما هي بناقلته ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [ يس : ٨٢ ]

فلا تفكر بعقلك القاصر البتة لتصل إلى منتهى قدرة الملك . ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[ آل عمران : ٥٩ ]

فالله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات ، فمن الذي خلق السماء بغير عمد ترونها ؟! .

**من الذي** خلق الأرض وشق فيها الأنهار والبحار وزينها بالأشجار ؟

**من الذي** خلق سنبلةَ القمح وغلفها بهذه الأغلفة الحصينة المكينة ؟

وجعل فوق كل حبة شوكة ؟؟ ولما جعلها هكذا ؟!

لأن الله قدر أن تكون هذه الحبة قوتًا لك أيها الإنسان دون الطيور أو غير ذلك !!

**من الذي** خلق كوز الذرة ورصَّ على قولحته هذه الحبات اللؤلؤية البيضاء بهذا الجمال والإبداع ؟!!

**ومن الذي** خلق الإنسان بهذا والجمال والإبداع ؟!

**﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللهُ الَّذِي**

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣]

﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾.

انتهى الأمر وقدره الله ﷻ.

﴿ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ ﴾.

هو الذي خلق الخلق .. خلق آدم يوم خلقه بلا أب أو أم !! وكذلك خلق عيسى من أم بلا أب !! ليكون للناس دليلا على طلاقة قدرة الخالق .

قال تعالى : ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾ [ التحريم : ١٢ ]

ولقد ظهر الحمل .. والراجح من أقوال

المفسرين أن الحمل بعيسى كان حملًا عاديًا تسعة أشهر ، ولا ريب أن الله جلَّ وعلا كان قادرًا ولا زال سبحانه على أن تحمل مريم بعيسى وتضعه في لحظة واحدة ، ولكن أراد الله بها أن يختبر مدى صبرها ومدى تحملها على هذا الابتلاء العظيم التي لا تستطيع أن تقدر عليه إلا مريم ابنة عمران العذراء البتول ، فهذا من تمام الابتلاء .

وبدأت بوادر الحمل تظهر على الطاهرة

المطهرة ، وهنا نظر يوسف النجار - ذلك الرجل الذي كان يخدم بيت المقدس - إلى بطن الطاهرة تعلو يوما بعد يوم ويتعجب ، ولكن كثيرًا ما كان يدفع أي خالجة تمر بذهنه لعلمه بطهر البتول ، ولكن ها هي جبلية البشرية قد غلبته ، وما استطاع أن يكتم هذه الحوالج عن لبه **فقال لها** : يا مريم إني سائلك عن شيء ولكن لا تعجلي عليَّ ، فقالت الطاهرة العذراء : سل ما شئت يا يوسف

وقل قولًا جميلًا .

**فقال لها يوسف** : هل ينبت زرع بلا بذر ؟! وهل ينبت شجر بلا غيث أو مطر ؟! وهل يكون ولد بغير أب ؟!!

**فقالت مريم**: نعم يا يوسف هو كذلك .

**قال**: وكيف يكون ذلك يا مريم ؟!!

**قالت** : ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم أنبته من غير بذر !!

وأنبت الشجر يوم خلقه بغير غيث أو

مطر ، وخلق آدم يوم خلقه بغير أب أو أم !!

**قال يوسف** : أعلم أن الله على كل شيء قدير ! الله أكبر ..

قال الله تعالى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۞ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ۞ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۞ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۞ فَكُلِي

وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۞ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۞ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۞ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۞

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۞ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[ مريم : ٢٢ - ٣٣ ]

**هكذا قال عيسى** الذي ما زال في المهد لا حول له ولا قوة له إلا بالله أنا عبد الله ، وأعطاني الإنجيل وجعلني نبيًّا ، وأمرني بالصلاة ، والزكاة ما دامت بي حياة ، ومحسنًا إلى العذراء أمي ، ولم يجعلني من الجبارين في الأرض ولا من الأشقياء .

ويكمل لنا القرآن قصة عيسى عليه السلام ويقول : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ۝ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [ مريم : ٣٤ - ٣٦ ]

تعالى الله عما قاله النصارى ، فالكمال صفة من صفاته ! أيحق له أن يتخذ ولدًا ؟!

ولِمَ يتخذ ولدًا وهو الغني عن خلقه ولن

تغني الخليقة عنه ؟!!

فالله هو الغني عن الولد والصاحب والزوج .

وصدق الله إذا يقول : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** ﴾ يا من تشركون بالله ... فالله لا ند له ..ولا كفء له .. ولا شبيه له .. ولا زوج له .. ولا ولد له ولا والد له ﴿ **لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُو السَّمِيعُ البَصِير** ﴾ [ الشورى : ١١ ]

**أحبتي في الله**

أرى أنه من الجهال أن أختم هذا العنصر بهذا الحوار المبارك الجميل الذي بَرَّأ به ربنا ساحة نبيه عيسى عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ**

عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[ المائدة : ١١٦ - ١١٨ ]

**ثانيًا : بل رفعه الله إليه**

زعم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة أنهم قتلوا عيسى ابن مريم وصلبوه ، وزعم

النصارى بجهل وغباء أن عيسى صلب وقتل ودفن وخرج من قبره بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الرب أبيه ، وهو ينتظر إلى يوم الخلاص ليقضي بين الأحياء والأموات ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [ الكهف : ٥ ]

فبين الله الحق وكذب اليهود والنصارى فقال سبحانه : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٩]

**قال أهل التفسير**: أن الله ﷻ لما أراد أن يرفع نبيه عيسى إلى السماء بعد ما انطلق اليهود لقتله ألقى الله شبه عيسى على يهوذا

الأسخريوطى الخائن الذي أخذ اليهود ليدلهم على مكان عيسى فابتلاه الله فألقى عليه شبه عيسى فأخذه اليهود فقتلوه وصلبوه وهذا قول .

**والقول الآخر**: ثبت عن ابن عباس بسند صحيح كما روى ابن أبى حاتم والنسائي بسند صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة النساء .

**قال ابن عباس رضى الله عنهما**: لما أراد

الله أن يرفع عيسى خرج إلى بيت فيه اثني عشر رجلا من الحواريين فقال : نبي الله عيسى : إن منكم من سيكفر بي بعد أن آمن بي ، ثم قال لهم : أيكم يقبل أن يلقى عليه شبهي ليقتل مكاني ليكون معي في درجتي في الجنة ، فقام شاب أحدثهم سنًّا - أصغر الجالسين - فقال له : أنا ، فقال : اجلس ، فجلس ، ثم أعاد عيسى القول مرة ثانية فقام نفس الشاب فقال له : اجلس فجلس ، ثم أعاد

عيسى قوله للمرة الثالثة فقام نفس الشاب ، فقال عيسى : هو أنت ، فألقى الله على هذا الشاب شبه عيسى ورفع الله عيسى إلى السماء .

وجاء الطلب من اليهود أي : الذين يطلبون عيسى لقتله فأخذوا هذا الشاب فقتلوه فصلبوه فكفر بعض أتباع عيسى ممن آمنوا به كما ذكر لهم قبل قليل .

ثم ينزل الله ﷻ عيسى بعد ذلك لحكم عديدة خذوا منها : أن الله تبارك وتعالى

سينزل عيسى ﷺ ليكذب اليهود الذين زعموا أنهم قتلوه ، وليكذب النصارى الذين جهلوا هذه الحقيقة ، وليبين للناس جميعا أن محمدًا ﷺ وأن الموحدين معه من أمته أولى الناس بعيسى ﷺ لأنه سيحكم العالم كله بكتاب الله وبشريعة محمد رسول الله ﷺ .

سينزل عيسى ليموت في الأرض فما قولك إذًا في قول الله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ**

الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

[ آل عمران : ٥٥ ]

**والجواب كما قال جمهور المفسرين** : إن الوفاة في الآية معناها الوفاة الصغرى وهي النوم كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾

[ الأنعام : ٦٠ ]

وكما في قوله : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفسَ حِينَ مَوتِهَا ﴾ [ الزمر : ٤٢ ]

**أي** : في منامها كما في قول المصطفى إذا استيقظ من منامه (( **الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ))[1].

---

(١) **صحيح** : رواه البخاري رقم (٦٣١٢) في الدعوات باب ما يقول إذا نام ، والترمذي رقم ( ٣٤١٣ ) في الدعوات باب ما يدعو به عند النوم ، وأبو داود رقم (٥٠٤٩) في الأدب باب ما يقال عند النوم .

إني متوفيك ، أي : ألقى الله عليه سِنَةً من النوم ، وهذه هي الوفاة الصغرى باتفاق ثم رفعه الله ﷻ ثم ينزله الله تبارك وتعالى في الوقت الذي يشاء .

**ثالثًا : نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء**

بين الله جَلَّ وَعَلَا أنه رفع عيسى إليه إلى يوم الوقت المعلوم الذي سينزل فيه إلى الأرض مرة أخرى ليكون علامة كبرى من

العلامات الدالة على قيام الساعة فقال في قرآنه : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرض يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾

[ الزخرف : ٥٧-٦١ ]

انتبه جيدًا ففي قراءة ابن عباس ومجاهد وإنه لعلم للساعة أي نزول عيسى أمارة وعلامة على قيام الساعة .

بل وروى ابن جرير بسند صحيح أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** ﴾ أي : خروج عيسى عليه السلام ، فإن نزل فهذه علامة كبرى تدل على قرب قيام الساعة ، وقال الله تعالى في الآية التي ذكرت آنفا ﴿ **وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ أي :

قبل موت عيسى عليه السلام .

وقد بينت السنة الصحيحة المتواترة نزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء .

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : (( **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشَكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الجِزْيَةَ**

**وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ** ))[١].

وانظر ماذا قال الحبيب في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ:

(( **لَيْسَ نَبِيٌّ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ ، إِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ**

---

(١) **صحيح** رواه البخاري رقم (٢٢٢٢) في البيوع ، باب قتل الخنزير ، ومسلم رقم (١٥٥) في الإيمان ، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة محمد ﷺ

**لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالقَصِيرِ وَلَا بِالسَّمِينِ وَلَا بِالنَّحِيفِ مَائِلٌ إِلَى الحُمْرَةِ وَالبيَاضِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ مَاءً مِنْ غَيْرِ بَلَلٍ** ))[1].

وفي رواية النواس بن سمعان في صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة أنه ﷺ قال : (( **يَنْزِلُ عِيسَى عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِي**

(١) رواه أبو داود رقم (٤٣٢٤) في الملاحم ، باب خروج الدجال ، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٨٢) وهو في صحيح الجامع رقم (٥٣٨٩) .

دِمَشْقٍ بَيْنَ مَهْرَوَدَتَيْنِ ›› في الرواية الأولى التي ذكرت آنفا بين ممصرتين. - أي : ثوبين مصبوغين بصفرة خفيفة يسيرة ‹‹ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ تَنْحَدِرُ مِنْهُ جُمَانٌ كَحَبَّاتِ اللُّؤْلُؤِ ، يَتَوَجَّهُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى مِنْ دِمَشْقَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَقَدْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَإِذَا رَأَى الإِمَامُ الفَطِنُ الذَّكِيُّ اللَّبِقُ نَبِيَّ اللهِ عِيسَى عَرَفَهُ وَتَقَهْقَرَ لِلْخَلْفِ لِيَتَقَدَّمَ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى فَيَقُولُ

لَهُ نَبِيُّ الله : لَكَ أُقِيمَتْ فَإِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءَ تَكْرِمَةَ الله لِهَذِهِ الأُمَّةِ فَيُصَلِّي نَبِيُّ الله عِيسَى خَلْفَ إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ فَإِذَا انْتَهُوا مِنَ الصَّلَاةِ انْطَلَقَ نَبِيُّ الله عِيسَى إِلَى بَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْتَحُوا البَابَ فَإِذَا فَتَحُوا البَابَ رَأَوا الدَّجَّالَ خَلْفَ البَابِ وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ اليَهُودِ بِالسُّيُوفِ فَإِذَا نَظَرَ الدَّجَّالُ إِلَى نَبِيِّ الله عِيسَى ذَابَ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَهْرَبَ فَيَتْبَعَهُ نَبِيُّ الله عِيسَى

وَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ - مَدِينَةٌ مَعْرُوفَةٌ الآنَ بِفِلِسْطِينَ - فَيَقْتُلُهُ ، وَيُرِيحُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » .

قال المصطفى ﷺ قولًا عجيبًا كما في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان وصحح السند الحافظ ابن حجر من حديث أبي هريرة ﷺ وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « فَيَهْلَكُ فِي زَمَانِ عِيسَى المِلَلُ كُلُّهَا إِلَّا الإِسْلَامَ ، وَيُهْلِكُ اللهُ المَسِيحَ الدَّجَّالَ ، وَتَنْزِلُ الأَمَنَةَ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَرْعَى الأُسُودُ مَعَ الإِبِلِ ، وَالنِّمَارُ مَعَ

**البَقَرِ ، وَالذِّئَابِ مَعَ الغَنَمِ** ))[1].

أستحلفك بالله أن تنظر لبداية الحديث يقول الرسول تهلك كل الملل إلا الإسلام ...

أبشر أيها الموحد .. أبشر يا من تحب (( **لَا إِلَهَ إِلَّا الله** )) .

نعم والله ستهلك كل الأديان إلا الإسلام ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلَام** ﴾ [ آل عمران : ١٩ ]

---

(١) مسند أحمد رقم ( ٨٩٠٢ ) .

**وانظر مرة أخرى ومحص النظر.**

ترعى الأسود مع الإبل ...!! والنمار مع البقر .

والذئاب مع الغنم ...!!

وفى رواية أبى أمامة وسندها صحيح قال المصطفى ﷺ : (( **فَيَكُونُ الذِّئْبُ مَعَ الغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا وَيَمُرُّ الوَلِيدُ عَلَى الأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ وَتَمُرُّ الوَلِيدَةُ عَلَى الحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهَا ، رُفِعَ الظُّلْمُ وَاسْتَقَرَّ الأَمْنُ وَالأَمَانُ وَالرَّخَاءُ وَزَادَتِ**

البَرَكَةُ حَتَّى تَنْزِلَ الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ)) .

بل في رواية النواس بن سمعان قال ﷺ :

(( فَيُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ - اللبن - حَتَّى أَنَّ اللَّقْحَةَ - الوَلِيدَةُ الَّتِي وَضَعَتْ وَلَدَهَا - مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ - الجماعة - وَاللَّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللَّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ

**النَّاسِ ....** ))(١)

وهكذا تعيش الأرض حالة لا نسيج لها في التاريخ كله ، حتى قال المصطفى في الحديث الذي رواه الديلمي والضياء المقدسي وصححه في الصحيحة الألباني من حديث أبي هريرة أن الحبيب النبي ﷺ قال : (( **طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسِيحِ ، طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسِيحِ ،**

---

(١) رواه مسلم رقم ( ٢٩٣٧ ) في الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال .

يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي القَطْرِ وَيُؤْذَنُ لِلأَرْضِ فِي النَّبَاتِ حَتَّى إِذَا بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَ وَلَا تَشَاحُنَ وَلَا تَحَاسُدَ ، وَلَا تَبَاغُضَ ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الأَسَدِ وَلَا يَضُرُّهُ وَيَطَأُ عَلَى الحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ ، وَلَا تَشَاح وَلَا تَحَاسُدَ وَلَا تَبَاغُضَ ))[1].

---

(١) صححه شيخنا الألباني ، في الصحيحة حديث رقم (١٩٢٦) .

ونكتفي بذلك القدر ونسأل الله أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض إنه ولي ذلك والقادر عليه .